من الشعر الحر (*)

الحديقة الميتة والقصر البالى

الأستاذ خليل شيبوب

أمر عليها كل يوم فأبصر
أشجارها مهشومة الأغصان
ويأخذنى حزن عليها فأشعر
باليأس يعقل خاطرى ولسانى

تهدم السور حولها فبدا
للعين عُرْىُ الحديقة
كأنها مليحه
قد خلعت جمالها
فأصبحت قبيحه
كاسية أسمالها
مرهاء غيرت الليالى حالها(١)
تطلب عند الناس عطفاً وجَدَى
من القلوب الشفيقة
رقص البِلَى فى ساحها عريانا
وشدا الفناء لرقصه ألحانا

بهما اهتدى
عادى الردى
فهـــدا
ومحا معالمها كأن لم تعلم
وكأن فيها الطير لم يترنم
وكأن فيها الزهر لم يتبسم

وقفت الأشجار ولهى
والعشب فيها جف كرها
فهو مصفر سقيم
وهو موطوء هشيم
ذبل النبت الدميث
ونما فيه أثيث
هائج السوق خبيث
شائه غطى مظلمات المسالك
فهو فيها بعد ذاك اللين شائك

أين وضاح الزهَرْ
أين معقود الخَمَر
أين مسرى الحور
أين مجرى الماء كالنور
كلها صارت عِبَر

ألقصر فى جانبها واقف
ذاهـــــلُ
رسم محيل بالأسى واجف
سائلُ

يا جنة كان النعيم بها يشدو
لحن أطيارك
والحسن فيها كان صفحته تبدو
فى وجه أزهارك
ألشمس تخشع حين تبصرك
ثكلى
ولذاك مالت عنك تغمرك
ظـــــلا
والريح عاثرة تمر بك
خجلى
لفك الليل بالسواد جلالا
وزوى عنك حين لاح الهلاك
وأراك النجوم لا تتلالا

يا من رأى القصر قد أقوتْ ملاعبه
وطلقته بلا رجعى كواعبه
غربت أقمارهُ
وأمحت أنوارهُ
فطويت مفاتن المجالس
وانتهبت ذخائر النفائس
وأصبحت فيه كرسم دارس
فماد ركناه وازورّت جوانبه

أين رجالاته وجودهم
كان شِفاء المنى وجودهم
زين الرجالات
محققو الغايات
ومقصد العفاة
ما أخلفت راجياً فضلاً وعودهم

عزاء أيها الحسن
فإنك لا تذل ولا تهونُ
إذا فقدت مباهجك العيونُ

(*) كل شطر من هذه القصيدة يرجع إلى بحر من بحور الشعر العربية أو إلى مجزوئه أو مجزوء مجزوئه . ولم تنقل فيه القافية مطلقاً بل بقيت متشابكة أو متلاحقة بحسب النظم . ولقد استنبطت هذه الطريقة بعد جهد ورأيتها أقرب إلى الشعر الحر والمرسل من سواها . أما ما يبدو فى هذا الشعر من التنافر فان تكرار قراءته يصقل الأذن ويكفل بأن يعيد الرنة الشعرية اليها وسوف أشرح هذه الطريقة وكيفية إمكان تحسينها بعد أن يفرغ حضرة الكاتب الأديب الأستاذ دريني خشبة من بحثه القيم فى الشعر المرسل .

(١) المرهاء : التى لم تكتحل